المظلة

للقصصي الفرنسي جي دي موپاسان

بقلم الأستاذ علي أدهم

كانت مدام أوريل مطبوعة على الاقتصاد عارفة بالقيمة الحقيقية للسنتيم، وقد حفلت جميتها بالحكم الصارمة التي تحض على مضاعفة النقود، وكانت خادمتها لا تجد من السهل الهين أن تزيد في دخلها كما كان المسيو أوريل يلقى صعوبة شديدة في انتزاع مصروفه الخاص من زوجته، وبالرغم من أن الزوج والزوجة كانا ميسورين وليس لهما أولاد فقد كان يشق على مدام أوريل ويحز في نفسها أن تفارق فضتها اللامعة، وكأنما كانت كل قطعة من النقود تعتصر من صميم قلبها، وكانت كلما استلزمت الظروف بعض التوسع في الإنفاق باتت مسهدة الجفن مسلوبة الرقاد

وكان المسيو أوريل كثيراً ما يقول لها «إنك في الواقع تستطيعين أن تبسطي كفك بعض البسط فنحن لا نعيش العيشة المناسبة لدخلنا»

وكان ردها الدائم عليه قولها «خير لنا أن نأخذ بالأحوط، فنحن لا نعرف ما تأتي به الأيام»

وكانت امرأة ضمرة أنيقة ذات غضون في الأربعين من عمرها غريبة الأطوار، وكان زوجها ما ينفك غاضبا من المتاعب التي تفرضها عليه وبخاصة من بعض الحوادث التي جرحت فيها كبرياؤه

وكان يشتغل وظيفة رئيس الكتبة في وزارة الحربية، وقد احتفظ بهذه الوظيفة تزولا على رغبات زوجته، وكان ذلك يزيد في الفائض من دخلهما، وقد ظل يذهب إلى ديوان الوزارة في السنتين الأخيرتين حاملا مظلة قديمة مرقعة كانت مثار سخرية زملائه من الكتبة وهدف تندرهم، ولم يستطع في النهاية الثبات لمزاحهم، وأصر على أن تشترى له مدام أوريل مظلة جديدة فوظفت ثمانية فرنكات ونصف فرنك في شراء

مظلة كان قد عرضها للبيع أحد المحال الكبيرة من قبيل الإعلان ، وقد تناثرت فى باريس ألوف من هذه المظلات وسرعان ماعرف ذلك الكتبة حينما رأوا المظلة الجديدة فازداد ضحكهم علوا وعانى أوريل الآلام والغصص ، وظهر أن شراء المظلة كان صفقة خاسرة فقد عاث فيها البلى بعد ثلاثة أشهر ، وكان ذلك موضع دهشة موظفى الوزارة جميعا ، وقد نظمت فيها الأغانى التى كانت تسمع فى شتى أرجاء الديوان من الصباح إلى المساء

وفى نوبة من نوبات الغضب أمر أوريل زوجته أن تنفق عشرين فرنكا فى شراء مظلة جديدة مصنوعة من أحسن أنواع الحرير وأن تستحضر الإيصال الذى يثبت ذلك ، فساومت على مظلة بثمانية عشر فرنكا وناولتها لزوجها وقد لاح فى أساريرها الهم والكمد

وصاحت به قائلة « لا بد أن تبقى معك هذه المظلة على الأقل مدة خمس سنوات »

وتجمع صاحب المظلة الفرح الجذلان تجاهها باهرا فى ديوان الوزارة ، ولما عاد إلى المنزل فى المساء رمت زوجته المظلة بنظرة قلقة وقالت له « من الخير أن تحافظ على مظلتك فإنك لن ترانى مسرعة إلى شراء مظلة أخرى لك »

وتناولت المظلة من يده وفكت زرارها ونشرت ثناياها وحينذاك استولى عليها الفزع ووقفت وأخذت تحدق فى المظلة ، فقد كان فى منتصف المظلة خرق مستدير صغير الحجم يبدو أنه من أثر حرق طرف سيجارة

وقالت له وقد كادت أنفاسها تتقطع « أنظر إلى هذا الحرق ! »

فسألها زوجها قائلا فى هدوء « ما الخبر ؟ وماذا تقولين ؟ »

وكان الغيظ يخنقها فقالت متعثرة « أنت ... أنت ... لقد حرقت ... وأوجدت ثقبا فى ... فى مظلتك ... أنت .. لا بد أنك مجنون ... أتريد خراب بيتنا ؟ »

فشعر زوجها بالدم يغلى ويفور فى خديه واستدار وقال متعجبا « ماذا تقولين ؟ »

« أقول لك إنك قد أحدثت ثقبا فى مظلتك الجديدة ، أنظر إليها » واندفعت نحوه كأنها همت بصفعه وألقت الثقب الصغير المستدير تحت أنفه ، فنظر إليه خائفا وجلا وتمتم قائلا « كيف حدث هذا ؟ إنى لا أعلم عنه شيئا ، وإنى أقسم أنه ليس من صنعى ، ولا أستطيع أن أفهم جلية الأمر »

فأجابته زوجته قائلة « إنى أعرف !

وإنى أراهن على أنك كنت تعبث بها فى الديوان وتفتحها وتعرضها للأنظار» فقال لها:

— « الواقع أنى فتحتها مرة واحدة وكان ذلك لأريهم جمالها ، وأؤكد لك أن هذا هو كل ما فى الأمر »

فضربت الأرض برجليها غاضبة ، وعاملته تلك المعاملة التى تجعل الرجل السالم يرى موقده المنزلى أمنع من ساحة قتال يتساقط فيها الرصاص

وأصلحت الثقب بأن وضعت فيه قطعة من الحرير من مظلة قديمة كان لونها يختلف عن لون المظلة الجديدة

وفى صباح اليوم التالى خرج أوريل قاصدا الديوان حاملا كنزه المرقع وهو فى صورة من أدبه المعتوبة ، ووضع المظلة فى صوانه وأخفاها

ولما عاد إلى منزله فى المساء انتزعت زوجته المظلة من يده . وما كان أشد رعبها من المنظر المحزن الذى رأته عيناها ! فقد كان غطاؤها ممتلئا بالثقوب الصغيرة ، وكان من الواضح أن هذه الثقوب من أثر الحرق ، وكأنما أفرغ فوق الغطاء الحريرى رماد ملتهب من غليون ، وكانت المظلة قد فسدت فساداً لا يرجى إصلاحه ، فنظرت زوجته إليه وقد عقد الغضب لسانها ، وأخذ زوجها يفحص المظلة وقد أزاغ بصره الخوف والفزع ، وتلاقت نظراتهما ، فغض طرفه ، وصاحت به زوجته قائلة — وقد أعادت إليها قوية الغضب القدرة على الكلام —

« أيها التعس ! أيها الشقى المنكوب ! لقد تعمدت أن تفعل هذا ، ولكنى سأعاقبك ، ولن تكون لك بعد اليوم مظلة »

وسئلت معه فصلا جديدا . وبعد ساعة من هدوء العاصفة سمحت له بالإصغاء فأقسم لها أنه لا يعرف كيف وقع هذا ، ولا بد أنه من أثر الغيرة أو حب الانتقام . ودق جرس الباب فانقذ الموقف ، وكان القادم صديقا قد دعى لتناول العشاء ، وعرضت مدام أوريل الأمر عليه ، وذكرت له أن شراء مظلة أخرى أمر خارج عن الموضوع ، وأن زوجها لن يكون له بعد اليوم مظلة

ولكن الضيف وجه إليها اعتراضاً حكيماً قائلا « فى هذه الحالة يسرع البلى إلى ثيابه وتكون ذلك أخطر وأدعى للخسارة »

فأجابت الزوجة الصغيرة الجرم وهى لا تزال غاضبة حانقة « حسن ، يستطيع أن يحمل مظلة الخادم ، ولن أحضر له مظلة من الحرير »

فأثار ذلك ثائرة أوريل فقال

« فى هذه الحالة أنذرك بأننى سأقدم استقالتى ، وليس هناك ما يدفعنى إلى الذهاب للديوان حاملا مظلة خادم »

فقال الضيف « ولم لا تصلح المظلة ؟ إنها لا تكلف كثيرا »

فأجابت مدام أوريل فى عنف وحدة « إن ذلك يقتضى دفع ثمانية فرنكات على الأقل ، فإذا أضفنا ذلك إلى الفرنكات الثمانية عشرة كان المجموع ستة وعشرين فرنكا من أجل مظلة ، وهذا شئ لا يحتمل ، إنه جنون »

وكان صديقها رجلا فقيرا ، فألهم فكرة جملته يقول « يمكن الحصول على المبلغ من شركة التأمين ، فالشركة تدفع تعويضا لكل مايحرق على شريطة أن يكون الحريق قد أصاب ما تملكان »

وكان هذا الإيحاء مثل السحر ، فبعد تفكير لم يستغرق أكثر من دقيقة خاطبت مدام أوريل زوجها قائلة « غدا فى طريقك إلى الديوان تأخذ معك المظلة إلى شركة التأمين وتريهم هناك ما أصاب المظلة وتطلب التعويض »

فوثب المسيو أوريل وقال « لن أجترئ على مثل هذا العمل ، والمسألة لم تتجاوز ثمانية عشر فرنكا وهو مبلغ لايحملنا خسارة مؤلمة »

ولحسن حظه كان الطقس معتدلا فى اليوم التالى فذهب إلى الديوان حاملا عصاه ولم تنقطع مدام أوريل وهى منفردة فى المنزل عن التفكير فى الفرنكات الثمانية عشرة التى فقدتها ، وكانت المظلة ملقاة على الخوان فى حجرة الطعام وظلت تحوم حولها دون أن تقطع برأى فى الموضوع ، وقد تملكتها فكرة شركة التأمين ، ولكنها كانت تخشى نظرات كتبة الشركة الساخرة وكانت ممن يستولى عليهم الخجل فى المجتمعات . وكان من عادتها أن أنفه شئ يجعل وجنتيها تحمران ، ولم تكن ترتاح إلى محادثة الأجانب ، ولكن حزنها من أجل الفرنكات الثمانية عشر كان يحز فى قلبها كحز الموسى ، وعبثا حاولت أن تبعده عن فكرها ، وكانت ذكرى هذه الخسارة ما تنفك تلذعها فماذا تفعل ؟ وتتابعت الساعات وهى لاتزال فى تردد ؛ وفجأة عقدت العزم على العمل مثل الجبان الذى استجمع شجاعته وقالت :

« سأذهب إلى الشركة وأرى مايحدث »

وكان لا بد من تناول المظلة قبل كل شئ حتى تبدو الكارثة غير قابلة للاصلاح وتقتنع الشركة ، فأحضرت من رف الموقد عود ثقاب وحرقت ثقبا واسعا كحجم كفها بين جانبين من جوانب المظلة ولفت بقايا الحرير وشدت حولها رباطا مرتا وتلمعت بالشال ووضعت القبعة على رأسها وهرولت إلى شارع دى ريفولى ، وكانت إدارة شركة

التأمين بهذا الشارع ، وكلما اقتربت مدام أوريل من إدارة الشركة كانت خطواتها تتقاصر فماذا تقول فى الشركة ؟ وما الرد الذى تتلقاه ؟ وأخذت تنظر الأرقام الموضوعة على الأبواب ، وكان لا يزال بينها وبين إدارة الشركة ثمانية وعشرون منزلا ، وقد أتاح لها ذلك فرصة للتفكير فتمهلت فى السير حتى فاجأها باب كتب عليه بحروف كبيرة «شركة التأمين ضد الحريق» فاختلط عليها الأمر ، واعتراها الخجل ، وترددت لحظة ، وتقدمت إلى الأمام ثم عادت أدراجها

ولكنها قالت لنفسها « لابد مما ليس منه بد » وكلما كان الأمر أسرع كان ذلك أحسن »

ولما اجتازت المدخل ودخلت الإدارة شعرت بأن قلبها ينبض نبضا عاليا وتقدمت من رجل كان يمر من الحجرة الرحبة حاملا بعض الأوراق

وقالت له فى صوت خفيض مضطرب : «معذرة ياسيدى ! هل تستطيع أن تدلنى لمن أقدم طلب التعويض عن الحريق ؟ »

فأجابها بصوت رنان « الدور الأول إلى اليسار ، فهناك القسم الخاص بالحوادث»

وزادها جوابه اضطرابا حتى ودت أن تنطلق دون أن تنطق بكلمة واحدة وتضحى بالثمانية والعشرين فرنكا ، ولكنها استمدت الشجاعة من تفكيرها فى المبلغ كله ، وصعدت السلالم وهى تلهث وتقف عند كل درجة ودقت الباب فى الطابق الأول ، فأمرها بالدخول صوت رنان ، فدخلت إلى حجرة واسعة كان بها ثلاثة رجال مجتمعين ومستغرقين فى مناقشة خطيرة

والتفت أحدهم إليها وقال « ماالذى أستطيع عمله من أجلك ياسيدتى ؟ »

فوجدت صعوبة فى استحضار الكلمات وتلعثمت قائلة « لقد جئت . . . بسبب حادثة »

فأومأ الرجل فى أدب إلى كرسى وقال « تفضلى بالجلوس يا سيدتى ، سأكون طوع أمرك بعد دقيقة أو دقيقتين »

واستؤنفت المناقشة التى اعترضها دخول السيدة

وقال المدير « فى الحالة الخاصة بكم أيها السادة لا تعد الشركة نفسها مسؤولة عن دفع مبلغ يتجاوز أربعمائة ألف فرنك ، ولا نستطيع أن نقر طلبكم دفع مبلغ مائة ألف فرنك علاوة على ذلك ، وفضلا عن ذلك فإن هناك التقدير » ...

فقال أحد الرجلين الآخرين « هذا يكفى ، والقضاء سيفصل فى الموضوع وليس هناك حاجة إلى إطالة المناقشة »

وبعد تبادل التحيات انصرف الرجلان، ولو كانت واتبها الشجاعة لتبعتهما وضحت مسرورة بكل شيء ، ولكن الفرصة أفلتت منها ، فقد اتجه إليها المدير وقال لها بعد الانحناء « إني في خدمتك يا سيدتي »

فبذلت جهدا لتتنفس وقالت في صعوبة « لقد جئت ... جئت من أجل هذا »

فنظر المدير في دهشة إلى الشيء الذي عرضته لنظره ، وأخذت أصابعها الرتعشة تتحسس الرباط المرن ، ونجحت بعد محاولات في فك عقدته وأخرجت بقايا المظلة الممزقة

وقال المدير في عطف وإشفاق « يبدو أنها في حالة سيئة »

فقالت وهي تحاول جس النبض « لقد كلفتني عشرين فرنكا »

فبدت على المدير علامات الدهشة والاستغراب

« حقيقة ؟ هذا المبلغ كله ؟ »

« نعم ، لقد كانت مظلة ممتازة ، وأريد أن ترى بنفسك حالتها »

فقال المدير « لا شك في ذلك ، ولكني لم أستطع أن أتبين بعد ما علاقة ذلك بعملي ؟ »

فوجف قلبها وساءلت نفسها هل تدفع الشركة تعويضات لمثل هذه الخسائر الطفيفة ؟

وقالت للمدير وهي تتعثر في الحديث « أنظر ، لقد حرقت »

فأجاب المدير دون أن يحاول أن ينقض كلامها « هذا واضح »

وهنا خذلتها الألفاظ ، فتمددت وهي لا تكف عن التحديق فيه حتى أدركت فجأة أنها لم تذكر له اسمها

فبادرت إلى إخباره أنها مدام أوريل وقالت « لقد أخذنا منكم صك تأمين وأريد أن أطالب بتعويض »

ولما كانت تتوقع الرفض البات استدركت قائلة « إنني لا أريد سوى عمل غطاء جديد للمظلة »

فعارض المدير قائلا وقد حار في أمره « إننا يا سيدتي لا شأن لنا بالمظلات ، ولسنا نقوم بإصلاحات من هذا القبيل »

فشعرت المرأة القميئة بأن حب الكفاح الكامن في نفسها ينبعث ويتجدد وكان لابد من وقوع معركة ، ولقد كانت متأهبة لخوض غمار هذه المعركة ، فقد أفرخ روعها وسرى عنها

« إنني لا أطالب إلا بدفع تكاليف الإصلاح ، وإني أستطيع أن أضع لها بنفسي الغطاء الجديد »

فبدت على المدير الحيرة والدهشة

« إنها فى الواقع ياسيدى مسألة هينة ، ونحن لا يطلب منا تعويض عن مثل هذه الحوادث التافهة ، وأظنك تدين بأننا لا ينتظر منا أن نقدم تعويضات عن المناديل والقفازات والكانس والخفاف القديمة وما إلى ذلك من الأشياء الصغيرة المعرضة للحريق فى أى وقت »

فشمرت بتدفق الدم فى وجنتيها لاشتداد غضبها وقالت :

« فى ديسمبر الماضى حرقت يا سيدى مدخنتنا وكلفنا إصلاحها خمسمائة فرنك ولم يطلب السيو أوريل من الشركة مليما واحدا فمن العدل أن تدفع الشركة نفقات إصلاح المظلة »

فابتسم المدير عند سماعه القصة المخترعة وقال : « أظنك ياسيدتى لاتنكرين أنه مما يثير العجب أن السيو أوريل بعد أن أمسك عن المطالبة بدفع نفقات إصلاح المدخنة التى بلغت خمسمائة فرنك يطلب تعويضا قدره خمسة فرنكات أو ستة لأجل مظلته »

فقالت له فى غير مبالاة « أستميحك المعذرة ، إن الخمسمائة فرنك كانت تخص أوريل ، أما الثمانية عشر فرنكا فإنها من جيب مدام أوريل وهو أمر يختلف كل الاختلاف »

وأدرك المدير أنه لن يتخلص من إلحاحها دون أن يضيع اليوم كله فقال مستسلماً « تفضلى واذكرى لى أيضا كيف وقعت الحادثة ؟ »

فبدأت تروى القصة وقد وثقت من النصر

« لقد وقعت الحادثة على النمط الآتى ياسيدى ، ففى قاعة المنزل حامل برنزى للمظلات ، وقد عدت أمس ووضعت المظلة على الركيزة ، وفوق هذه الركيزة رف صغير للشمع والثقاب ، ومددت يدى وأخذت أربعة عيدان ثقاب ، ولم يشتعل العود الأول ، ولم العود الثانى وانطفأ وكذلك العود الثالث »

فقال المدير مازحا « أظنها من عيدان الثقاب التى تصنعها الحكومة ؟ »

فأجابت دون أن تلقى بالها لفكاهته « يمكن أن يكون ذلك. والأمر المهم أن عود الثقاب الرابع أشعل الشمعة ، وآويت إلى حجرتى ونمت فى فراشى وبعد انقضاء ثلث ساعة خلفت أننى أشم رائحة حريق ، وأنا دائما أخشى النار ، فإذا وقع فى منزلنا حريق لا يكون الخطأ منى ، ومنذ احتراق المدخنة الذى حدثتك عنه وأنا أعيش فى خوف شديد ، ولذلك قمت من الفراش وغادرت الغرفة وبحثت فى كل مكان ، وكنت

أشم مثل كلب الصيد ، وأخيراً كشفت أن مظلتى كانت مشتعلة ، ولا شك فى أن أحد عيدان الثقاب قد سقط بين ثناياها ، وأنت ترى حال المظلة» ..

فأحنى المدير رأسه لما ليس منه بد وقال « وما مقدار المبلغ الذى تطالبين به ياسيدتى ؟ »

فلم تجترئ على ذكر المبلغ الذى تريده وظلت صامتة

وأخيرا قالت وهى تحاول الظهور بمظهر الكريمة المتسامحة « إنى أترك ذلك لك ، وتستطيع أن تصلحها لى »

فقال: « إننا لانستطيع أن نفعل ذلك ياسيدتى. تفضلى فاذكرى المبلغ الذى تريدينه »

قالت « ولم ذلك . . . إنى أظن . . . لا ياسيدى ، إسمع لى ، إنى لا أريد الكسب على حسابكم ، إنها أعدل الطرق ، سأحمل المظلة إلى أحد الحوانيت ، وهناك أطلب عمل الغطاء من الحرير الجيد المتين وأحضر لكم قائمة بالنفقات ، أيكون هذا »؟

فقال : «حسن جدا ، لقد سويت المسألة وهاك مذكرة للصراف الذى سيدفع لك مصاريف الإصلاح »

وأعطاها بطاقة فقبضت عليها بيدها ، وقامت من مقعدها ، وتمتمت كلمات الشكر وأسرعت بالخروج من الحجرة خشية أن يغير المدير رأيه

وبعد هذا الانتصار أخذت تتهادى فى الشارع فرحة مبتهجة باحثة عن حانوت نفم ، ولما عثرت على الحانوت الذى يبدو أنه يطلب مصروفات باهظة لإصلاح المظلة دخلت فى جرأة وشموخ وقالت بصوت الآمر :

« أريد أن تصنعوا غطاء لهذه المظلة من أحسن أنواع الحرير ، واستعملوا أرق صنف عندكم فإنى لا أبالى بالتكاليف »

على أرقم